مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

تسبيح المخلوقات في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

إعداد: أ. د : علي بن عمر السحيباني

أستاذ القرآن وعلومه

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

ملخص البحث:

يتألف هذا البحث بعد المقدمة من: تمهيد: فيه تعريف التسبيح لغة واصطلاحا،وسبعة مباحث، المبحث الأول: ما يخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه:ثلاث عشرة آية، المبحث الثاني: ما يخص بقية الأنبياء وفيه: سبع آيات، المبحث الثالث: ما يخص الملائكة، وفيه مطلبان: الأول: مايخص عموم الملائكة، وفيه: ثمان آيات ، المطلب الثاني: ما يخص حملة العرش وفيه: آيتان فقط، المبحث الرابع: ما يخص أهل الجنة وفيه: آية واحدة، المبحث الخامس: ما يخص خواص المسلمين وفيه: سبع آيات ،المبحث السادس: ما يخص عامة الخلق وفيه: سبع آيات، المبحث السابع: مايخص الحيوانات والجمادات وفيه: خمس آيات ، ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

تسبيح المخلوقات في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فالحمد لله الذي فطر الخلائق كلها على التسبيح والتقديس، حيث قال عزمن قائل عليما: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]

موضوع التسبيح لله تعالى من المواضيع الهامة، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، وقد سبح نفسه في سبع وعشرين آية، واتفقت جميع المخلوقات على تسبيحه وتقديسه سبحانه وتعالى ، وقد ورد في كتاب الله عز وجل أكثر من خمسين آية تتحدث عن تسبيح الكائنات، وقد شمل التسبيح الملائكة والبشر والناطق والأعجم، والحيوان والجماد، وقد تعددت صيغ وروده، فورد بالمصدر، والفعل المضارع، والفعل الماضي، والأمر، ولأهمية هذا الموضوع وكثرة الآيات التي ورد فيها التسبيح، وقلة الدراسات المتخصصة فيه، أحببت أن أفرد تسبيح المخلوقات في بحث مستقل، ليقف القارئ على ما لله من حقوق على جميع البشر، وما تلهج به الخلائق من تنزيه وتقديس للباري جل وعلا. وعنونته بـ: (تسبيح المخلوقات في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية)، سائلا الله تعالى العون والتسديد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الدراسات السابقة: حسب اطلاعي وعلمي المحدود، فقد توصلت إلى البحوث التالية.

١- بحث بعنوان: التسبيح في الكتاب والسنة، والرد على المخالفين. وهو بحث قيم، ويقع في مجلدين، وأصله رسالة دكتوراة، في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، نشر دار المنهاج.

٢- بحث في : تسبيح الله عز وجل ذاته في القرآن الكريم. إعداد:الأستاذ الدكتور: عماد زهير حافظ. منشور بمجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، وهذا البحث لم يتعرض لتسبيح المخلوقات.

٣- بحث بعنوان: من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار، إعداد د/ محمد محمد عبد العليم ، وهو موجود ضمن المكتبة الشاملة، وهذا البحث خاص بآيات طرفي النهار.

٤- بحث بعنوان: نظرية التسبيح في القرآن الكريم، د/عصام فوزي الجبالي، وهو منشور، ويقع في ٤٠٠صفحة، وقد ذكرت هذه المعلومات على الشبكة العنكبوتية ، وواضح من عنوانه أنه نظر إلى التسبيح نظرة عامة ولم يتعرض لتفصيل تسبيح المخلوقات كل فيما يخصه.

٥- بحث بعنوان:آيات الذكر والتسبيح في القرآن الكريم، دراسة تركيبية دلالية، إعداد: رابعة أحمد بن أحمد صالح، تقدمت به الباحثة لاستكمال نيل درجة الماجستير في اللغة العربية كلية التربية جامعة عدن، والبحث خاص بدلالة التركيب اللغوية ، في آيات الذكر والتسبيح، وهو لم يطبع فيما أعلم .

والفرق بين هذه الدراسة وتلك الدراسات : أن تلك الدراسات بعضها عام لما في الكتاب والسنة وبعضها خاص بطرفي النهار، وبعضها خاص بتسبيح الله ذاته ، وبعضها عام لآيات الذكر والتسبيح ، وأقربها إلى هذه الدراسة بحث: نظرية التسبيح في القرآن الكريم ، وهو بحث طويل ، ويتحدث عن التسبيح عامة ولم يتعرض للتفصيل الذي في هذه الدراسة، ولم يطبع فيما أعلم ؛ ولذا لم يتيسر لي الاطلاع عليه.

أما هذه الدراسة: فخاصة بآيات تسبيح المخلوقات في القرآن دراسة موضوعية .

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

أهداف البحث:

١- حصر الآيات الواردة في الموضوع.

٢- تقسيم تلك الآيات إلى مباحث ومطالب على حسب الموضوعات.

٣- الوقوف على ما في تلك الآيات من تعظيم وتنزيه لله تعالى.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، ثم الفهارس.

المقدمة: وفيها أهمية البحث وسبب اختياره، والدراسات السابقة ، وأهداف البحث.

التمهيد: وفيه تعريف التسبيح لغة وشرعا.

المبحث الأول: في ما يخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما ورد الأمر فيه بالتسبيح بدون تحديد لفظ معين:

وفيه الآيات التاليه:

١- سورة الحجر آية ٩٨، ٩٩.

٢- سورة غافر آية ٥٥.

٣-سورة الإنسان آية ٢٦.

٤-سورة الطور آية ٤٨، ٤٩.

٥-سورة طه آية ٤٠، ١٣٠.

٦- سورة الواقعة آية ٧٤، ٩٦.

٧- سورة الأعلى آية ١.

٨-سورة النصر آية ٣.

٩- سورة الفرقان آية ٥٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

١٠-سورة ق آية ٣٩- ٤٠ .

١١- سورة الحاقة آية ٥٢

المطلب الثاني: في الآيات التي أمر فيها بالتلفظ بهذا اللفظ بعينه:(سبحان الله) أو (سبحان ربي) وفيه آيتان فقط:

١٢ سورة يوسف آية ١٠٨.

١٣- سورة الإسراء آية٩٣

المبحث الثاني:في ما يخص عموم الأنبياء: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما يخص نبي الله زكريا عليه السلام : وفيه آيتان:

١- سورة آل عمران آية ٤١.

٢- سورة مريم آية ١١.

المطلب الثاني: ما يخص نبي الله يونس عليه السلام : وفيه آيتان

١- سورة الصافات آية ١٤٣.

٢- والانبياء٨٧.

المطلب الثالث : ما يخص الأنبياء موسى وهارون عليهما السلام : وفيه آية واحدة.

١- سورة طه آية ٣٣.

المطلب الرابع: ما يخص نبي الله عيسى عليه السلام : وفيه آية واحدة:

١- سورة المائدة آية ١٦٦

المطلب الخامس : ما يخص نبي الله موسى عليه السلام : وفيه آية واحدة:

١- سورة الأعراف آية ١٤٣.

المبحث الثالث:في ما يخص الملائكة: وفيه مطلبان:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الأول: في ما يخص عموم الملائكة: وفيه الآيات التالية:

١- سورة الصافات آية ١٦٦.

٢- سورة البقرة آية ٣٠-٣٢

٣ -سورة فصلت آية ٣٨.

٤- سورة الأنبياء آية ٢٠.

٥- سورة الأعراف آية ٢٠٦.

٦- سورة الرعد آية ١٣ .

٧-سورة الشورى آية ٥.

٨- سورة سبأ آية ٤١.

المطلب الثاني:في ما يخص حملة العرش: وفيه آيتان:

١-سورة غافر آية ٧.

٢- سورة الزمر آية ٧٥.

المبحث الرابع: في ما يخص أهل الجنة: وفيه آية واحدة:

١- سورة يونس آية ١٠.

المبحث الخامس: في ما يخص خواص المؤمنين: وفيه الآيات التالية:

١- سورة الأحزاب آية ٤١-٤٢.

٢- سورة السجدة آية ١٥.

٣ -سورة النور آية ٣٦-٣٧.

٤- سورة الفتح آية ٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٥- سورة الزخرف ١٣ .

٦- سورة آل عمران آية ١٩١.

٧- سورة الإسراء آية ١٠٨.

المبحث السادس: في ما يخص عامة الخلق: وفيه الآيات التالية:

١- سورة الحديد آية ١.

٢ - سورة الحشر الآيات:١، ٢٣، ٢٤.

٣ -سورة الصف آية ١.

٤- سورة الجمعة آية ١.

٥-سورة التغابن آية ١.

٦- سورة القلم آية ٢٩.

٧-سورة الرعد آية ١٣.

المبحث السابع: في ما يخص الحيوانات والجمادات: وفيه الآيات التالية:

١- سورة الإسراء آية ٤٤.

٢- سورة النور آية ٤١.

٣-سورة الأنبياء آية ٧٩.

٤- سورة سبأ آية ١٠.

٥-سورة ص آية ١٨.

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

عملي في البحث:

قمت بحصر الآيات التي ورد فيها التسبيح ، ثم قسمتها على حسب موضوعاتها، ووضعت لكل موضوع عنوانا يدل عليه. فتحصل من ذلك سبعة مباحث، وتحت كل مبحث عدد من الآيات. ثم نقلت أقوال العلماء حول تلك الألفاظ الخاصة بالتسبيح، ولم أتعرض لبقية الآية بشيء من التفسير أو الإيضاح لئلا يطول البحث، فإن هذه التفاسير متوفرة في كتب التفسير، والمقصود من البحث ألفاظ التسبيح فقط.

تمهيد في تعريف التسبيح:

اتفقت المعاجم وكتب الغريب على أن التسبيح معناه لغة:

التنزيه والتبرئة من السوء تقول:سبحت الله تسبيحا، أي: نزهته تنزيها، وبرأته تبرئة من كل سوء[(١)].

قال الزجاج: معنى سبحانه: تبرئته من أن يكون له ولد [(٢)].

فقولك: سبح الرجل تسبيحا، أي: قال: سبحان الله . وهذا المعنى ذكره كثير من أهل اللغة [(٣)] و قال به بعض المفسرين، فقد قال ابن عطية: (سبح)معناه: قال: سبحان الله، فلم يستعمل (سبح) إلا إشارة إلى (سبحان) [(٤)] .

---

(١) ينظر كتاب العين للخليل بن أحمد،مادة (سبح)١٥١/١،وتهذيب اللغة للأزهري،مادة(سبح) ٣٣٧/٤ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس،مادة (سبح) ١٢٥/٣،ومفردات الراغب (سبح) ص٢٢١،والدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي ٢٥٦/١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٥/٢

(٣) ينظر لسان العرب لابن منظور ٤٧١/٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قال المبرد: فأما قولهم: (سبحان الله)، فتأويله: براءة الله من السوء[٥] .

وقال الزجاج: معنى(سبحان الله) في اللغة: تنزيه الله عن السوء[٦] .

أما معنى التسبيح في الاصطلاح الشرعي: فقد وردت عدة آثار عن السلف في بيان معنى التسبيح منها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(سبحان الله) قال: تنزيه الله [٧] .

٢- عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سبحان الله): تنزيه الله عز وجل عن كل سوء [٨] .

٣- أثر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال:(سبحان الله: تنزيه الله وتبرئته)[٩] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: في معنى التسبيح: وقد جاء عن غير واحد من السلف مثل قول ابن عباس أنه: تنزيه نفسه من السوء[١٠] .

---

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢٥٦/١٠.

(٥) المقتضب للمبرد ٢١٧/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٥/٣.

(٧) أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء ١٥٩٣/٣،رقم ١٧٥٩،وفيه بشر بن عمارة، قال أبو حاتم:صدوق، ينظر تهذيب التهذيب ٤٥٥/١.

(٨) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٨١/١،والطبراني في كتاب الدعاء ١٥٩٢/٣،رقم ١٧٥٧،وفي إسناده حجاج بن أرطاة،وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس، وبقية رجاله الإسناد ثقات،ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٩٦/٢

(٩) رواه الطبراني في كتاب الدعاء ١٥٩٤/٣،رقم ١٧٦٦.

(١٠) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢٥/١٦، ١٢٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقال أبو السعود: (التسبيح: تنزيه الله تعالى وتبعيده – اعتقادا وقولا وعملا – عما لا يليق بجنابه سبحانه)[١١] .

فيتحصل من تلك المعاني : أن التسبيح في الاصطلاح الشرعي هو: تنزيه الله عزوجل في الاعتقاد والقول والعمل، عما لا يليق به سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته، وأقواله وأفعاله [١٢] .

وقد ورد التسبيح في القرآن على سبعة وجوه، كما يلي:

الأول: بمعنى الصلاة والخدمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة:١]، أي: يصلي.

الثاني: بمعنى التعجب: قال تعالى:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء:٤٤]

(١١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٨٣/١، وينظر أيضا التحرير والتنوير ٢٤٤/٩.
(١٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز أبادي ١٧٢/٣،والتسبيح في الكتاب والسنة ٧٦/١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الثالث:بمعنى ذكر الحق:قال تعالى:﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣]

الرابع: بمعنى التوبة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف:١٤٣]

الخامس: بمعنى الاستثناء: قال تعالى:﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [القلم:٢٨] أي: تستثنون.

السادس: بمعنى تنزه الحق تعالى من العيوب والآفات: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس:٨٣].

السابع: بمعنى التنزيه والتقديس: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة:٣٠] (١٣).

(١٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١٧٧/٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث الأول: في ما يخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآيات التي أمر فيها بالتسبيح من غير تحديد لفظ معين

وفيه الآيات التالية:

١- سورة الحجر آيتي ٩٨، ٩٩:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: ٩٨، ٩٩]

ففي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن أقوال المشركين الكفرية التي يضيق منها صدره، وأمر له بأن يفرغ إلى تسبيح ربه عز وجل مقرونا بحمده، وإلى الصلاة، لكشف ما نابه من الضيق والمكاره التي يلقاها من قومه المشركين (١٤).

يقول ابن تيمية: التسبيح والتحميد: يجمع النفي والإثبات؛ نفي المعايب وإثبات المحامد، وذلك يتضمن التعظيم؛ ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١] ، و قَالَ تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة:٧٤] .

(١٤) ينظر جامع البيان للطبري ٧٣/١٤/٨، المحرر الوجيز لابن عطية ١٥٤/١٠، والتفسير الكبير للرازي ٢١٥/١٩، والبحر المحيط٥/٤٧٠، وروح المعاني للألوسي ٨٧/١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اجعلوا هذه في ركوعكم، وهذه في سجودكم) (١٥). (فالتسبيح) يتضمن: التنزيه المستلزم للتعظيم، و (التحميد) يتضمن: إثبات المحامد المتضمن لنفي نقائصها (١٦).

(وفي أمره صلى الله عليه وسلم بما ذكر إرشاد له إلى ما يكشف به الغم الذي يجده كأنه قيل له: افعل ذلك يكشف عنك ربك الغم والضيق الذي تجده في صدرك،ولمزيد الاعتناء بأمر الصلاة جئ بالأمر بها كما ترى مغايرا للأمر السابق على هذا الوجه المخصوص، وفي ذلك من الترغيب فيها ما لا يخفى، وفي عدم تقييد السجود بنحو له أو لربك إشارة إلى أنه مما لا يكاد يخطر بالبال إيقاعه لغيره تعالى فتدبر) (١٧).

٢- سورة غافر آية٥٥:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ [غافر:٥٥]

(١٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٥٥/٤.وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ٥٤٢/١ ح ٨٦٩، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب التسبيح في الركوع والسجود ٢٨٧/١ح ٨٨٧، والدارمي في كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود ٢٩٩/١ح ١٣٠٥، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود ص٨٤ح١٨٤، وضعيف سنن ابن ما جة ص٦٨ح١٨٦، وإرواء الغليل ٤٠/٢ح٣٣٤، وقال في مشكاة المصابيح: وإسناده محتمل للتحسين، رجاله ثقات كلهم، غير الراوي عن عقبة، وهو إياس بن عامر ، قال العجلي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات ٢٧٧/١ح٨٧٩، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٤٧٧/٢، وابن خزيمة ٣٠٣/١ح٦٠٠، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٨١/٨.

(١٦) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات ص١١.

(١٧) روح المعاني للألوسي ٨٧/١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

في هذه الآية توجيه من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى قومه، وإخبار له بتحقق وعد الله له بإظهار دينه وإهلاك أعدائه، وأمر له بالاستغفار؛ لترتفع به درجته عند الله ، وليكون سنة لمن بعده ، وأمر بالتسبيح وهو الصلاة

شكرا لربه ، والمراد بالعشي والإبكار: قال الحسن وقتادة: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر، وقال ابن عباس: الصلوات الخمس، وقال الحسن: هي صلاة كانت قبل أن تفرض الصلوات، ركعتان غدوة، وركعتان عشية [١٨].

ووعد الله هو وعد رسوله بالنصر في الآية السابقة، وفي غير ما آية.

والمعنى لا تستبطئ النصر فإنه واقع، وذلك ما نصر به نبيه صلى الله عليه وسلم في أيامه على المشركين يوم بدر ويوم الفتح ويوم حنين وأيام الغزوات الأخرى... وعطف على الأمر بالصبر الأمر بالاستغفار والتسبيح فكانا داخلين في سياق التفريع على الوعد بالنصر رمزا إلى تحقيق الوعد؛ لأنه أمر عقبه بما هو من آثار الشكر كناية عن كون نعمة النصر حاصلة لا محالة، وهذه كناية رمزية.

والأمر بالاستغفار أمر بأن يطلب من الله تعالى المغفرة التي اقتضتها النبوة،أي: اسأل الله دوام العصمة لتدوم المغفرة، وهذا مقام التخلية من الأكدار النفسية.

وأمر بتسبيح الله تعالى وتزيهه بالعشي والإبكار، أي: الأوقات كلها فاقتصر على طرفي أوقات العمل.

وجعل الأمرين معطوفين على الأمر بالصبر؛ لأن الصبر هنا لانتظار النصر الموعود، ولذلك لم يؤمر بالصبر لما حصل النصر في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

(١٨) ينظر تفسير الحسن البصري ٢٦٥/٢، ومعالم التنزيل ١٥٢/٧، وزاد المسير لابن الجوزي ٢٣٢/٧، والوابل الصيب، لابن القيم ص٢٠٠ وروح المعاني ٧٧/٢٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر:١- ٣]

فإن ذلك مقام محض الشكر دون الصبر [١٩].

وذهب غير واحد من أهل التأويل إلى أن المراد بالتسبيح في الآيات التي ورد الأمر به في وقتي العشي والإبكار أو الغدو والآصال.. الصلاة. وإطلاقه عليها من إطلاق اللازم على الملزوم، فهو كناية عنها، أو هو من إطلاق الجزء على الكل، فنوع مجازه مرسل وعلاقته الجزئية، إذ التسبيح جزء من الصلاة، والنكتة في ذلك كونها مشتملة على تسبيح الله وتنزيهه، أو الزمانية: ووجهه أن الزمان كثيرا ما يطلق ويراد به ما يقع فيه كما يقال: صلى الصبح والمراد صلاته، وقد يعكس فيراد بالصلاة زمانها نحو: قربت الصلاة أي: وقتها، وقد يراد به مكانها، كما قيل في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ [النساء:٤٣] ،وأن المراد بالصلاة: المساجد [٢٠].

(١٩) ينظر روح المعاني ٧٧/٢٤،و التحرير والتنوير ١٧٠/٢٤.

(٢٠) ينظر روح المعاني ١٥٩/٧، ومن بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار، د: محمد دسوقي ص٣١.

٣- سورة الإنسان آية٢٦ :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا ٢٦﴾ [الإنسان:٢٦]

أر شد الله سبحانه رسوله في هذه الآية إلى ذكره، والمراد به التوحيد بالصلاة، والمراد بالبكرة : صلاة الفجر، والأصيل: صلاة العصر، وقال بعضهم صلاة الظهر والعصر، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ يعني المغرب والعشاء، ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا ٢٦﴾ وَسَبِّحۡهُ وهي صلاة الليل وكانت فريضة عليه، ثم نسخ فلا فرض اليوم إلا الخمس، وأصل التسبيح التنزيه ويطلق على العبادة القولية والفعلية، وفي تأخير الظرف دلالة على أنه ليس بفرض كالذي قبله، وكذا في التعبير عنه بالتسبيح، والأقرب من حيث النظم أنه تعالى لما نهى حبيبه صلى الله عليه وسلم عن طاعة الآثم والكفور وحثه على الصبر على أذاهم وإفراطهم في العداوة، وأراد سبحانه أن يرشده إلى متاركتهم، عقب ذلك بالأمر باستغراق أوقاته بالعبادة ليلا ونهارا بالصلوات كلها من غير اختصاص، وبالتسبيح بما يطيق [٢١].

٤- سورة الطور: آيتي ٤٨، ٤٩:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩]

(٢١) ينظر جامع البيان ٢٢٥/٢٩/١٤، ومعالم التنزيل ٢٩٩/٨، وزاد المسير ٤٤١/٨، وروح المعاني ١٦٦/٢٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله في هذه الآية: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾ فيه ستة أقوال:

الأول: صل لله حين تقوم من منامك، قاله ابن عباس.

الثاني: قل: (سبحانك الله وبحمدك) حين تقوم من مجلسك، قاله عطاء، وسعيد بن جبير، ومجاهد.

الثالث: قل: (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك)، حين تقوم في الصلاة، قاله الضحاك.

الرابع: سبح لله إذا قمت من نومك، قاله حسان ابن عطية.

الخامس: صل صلاة الظهر إذا قمت من نوم القائلة، قاله زيد بن أسلم، ورجحه الطبري.

السادس: اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة، قاله ابن السائب [٢٢].

والآية قد أطلقت التسبيح حين القيام ولم تحدد قياما مخصصا ، فالأولى حملها على العموم فتشمل كل قيام يقومه صلى الله عليه وسلم يسبح الله فيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ قال مقاتل: صل المغرب وصل العشاء.

﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قيل: هما الركعتان قبل صلاة الفجر، رواه علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول الجمهور، وقيل: صلاة الغداة، قاله الضحاك وابن زيد [٢٣].

---

(٢٢) ينظر جامع البيان ٣٨/٢٧/١٣، ومعالم التنزيل ٣٩٤/٧، وزاد المسير ٦٠/٨.

(٢٣) ينظر جامع البيان ٣٩/٢٧/١٣، ومعالم التنزيل ٣٩٦/٧، وزاد المسير ٦٠/٨.

والآية تشير إلى أوقات الرغائب من النوافل وهي صلاة الفجر والأشفاع بعد العشاء وقيام آخر الليل، وقيل: أشارت إلى الصلوات الخمس بوجه الإجمال وبينته السنة [٢٤].

٥- سورة طه آية ١٣٠:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه: ١٣٠]

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: صل له بالحمد له والثناء عليه، ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ يريد الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ يعني: العصر، ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ الآناء: الساعات، ﴿فَسَبِّحۡ﴾ أي: فصل، وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال:

الأول: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

الثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس.

الثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد.

الرابع: أول الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

ووجه الاهتمام بآناء الليل، أن الليل وقت تميل فيه النفوس إلى الدعة فيخشى أن تتساهل في آداء الصلاة فيه.

قوله: ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ للمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال:

(٢٤) التحرير والتنوير ٨٦/٢٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الأول: أنها الظهر، قاله قتادة؛ فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر: أطراف النهار؛ لأن وقتها عند الزوال، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني.

الثاني: أنها صلاة المغرب وصلاة الصبح، قاله ابن زيد؛ وهذا على أن الفجر في ابتداء الطرف الأول، والمغرب في انتهاء الطرف الثاني.

الثالث: أنها الفجر والظهر والعصر؛ فعلى هذا يكون الفجر من الطرف الأول، والظهر والعصر من الطرف الثاني، حكاه الفراء [٢٥].

٦- سورة الواقعة آيتي ٧٤، ٩٦:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقعة:٧٤] الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم، والخطاب الموجه للرسول في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقوم الدليل على أنه خاص به فيختص به.

الثاني: أن يقوم الدليل على أنه عام فيعم.

الثالث: أن لا يدل دليل على هذا ولا على هذا، فيكون خاصا به لفظا، عاما له ولأمته حكما [٢٦].

قال ابن جرير:(يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فسبح يا محمد بذكر ربك العظيم، وتسميته) .

---

(٢٥) ينظر معاني القرآن للفراء ١٩٥/٢، وجامع البيان ٢٣٣/١٦/٩، ومعالم التنزيل ٣٠٢/٥، وزاد المسير ٣٣٣/٥، والتحرير والتنوير ٣٣٨/١٦.

(٢٦) تفسير القرآن الكريم للشيخ العثيمين جزء عم سورة الأعلى ص١٥٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقال الزجاج: (ذكر الله عز وجل جميع ما يدل على توحيده، وما أنعم به عليهم من خلقهم، وتغذيتهم مما يأكلون ويشربون، مما يدل على قدرته ووحدانيته،

ثم قال عز وجل:﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقعة:٧٤]أي: فبرئ الله عز وجل [٢٧].

والباء الداخلة على(اسم) زائدة لتوكيد اللصوق، أي:اتصال الفعل بمفعوله، وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب ، فكان حقيقا بالتقوية والحث عليه [٢٨].

٧- سورة الأعلى آية ١:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾ [الأعلى:١]

أيضا الخطاب في هذه الآية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم كالآيتين السابقتين.

قوله في هذه الآية :﴿سَبِّحِ﴾ في معناها خمسة أقوال:

الأول: قل: سبحان ربي الأعلى، قاله الجمهور.

الثاني: عظم.

الثالث: صل بأمر ربك، ورد القولان عن ابن عباس.

الرابع: نزه ربك عن السوء، قاله الزجاج.

الخامس: نزه اسم ربك وذكرك إياه أن تذكره وأنت معظم له، خاشع له، ذكره الثعلبي.

---

(٢٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج/١١٥/٥، وجامع البيان ٢٠٣/٢٧/١٣.

(٢٨) التحرير والتنوير ٣٢٨/٢٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وفي قوله تعالى: ﴿ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ ج قولان:

أحدهما: أن ذكر الاسم صلة.

والثاني: أنه أصلي، قال الفراء: (سبح ربك) و (سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ) سواء في كلام العرب [٢٩].

٨- سورة النصر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر:١] ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر:٢]ج ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:٣]﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر: ١، ٢، ٣]: أخرج البخاري عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعا ذات يوم فأدخله معهم، فما رويت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال:

ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذا تقول يا ابن عباس، فقلت: لا. قال: فما تقول، قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ

(٢٩) ينظر معاني القرآن للفراء ٨٧/٣، ومعاني القرآن للزجاج ٣١٥/٥، وجامع البيان ١٥١/٣٠/١٥، وزاد المسير ٨٧/٩، والتفسير الكبير ١٣٥/٣١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

﴿وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر:٣]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول)[٣٠].

وأخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه.

قالت: فقلت: يا رسول الله، أراك تكثر من قول:(سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه). فقال:(خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي، فإذا رأيتها أكثرت من قول:

(سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه) فقد رأيتها

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [٣١].

٩- سورة الفرقان آية ٥٨:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ [الفرقان:٥٨]

(٣٠) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ،سورة النصر باب: (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا). ٩٣/٦.
(٣١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب: ما يقال في الركوع والسجود ٣٥١/١ح٤٨٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

في هذه الآية أمر له صلى الله عليه وسلم بالتوكل على الله تعالى المتصف بالحياة الدائمة التي لا موت معها، وبالتسبيح بحمده تعالى، فالتوكل يتعلق بالتفويض إليه، والثقة به، والاعتماد عليه في الأمور كلها، والتسبيح بحمده يتعلق بتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من النقائص [٣٢].

وفي الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لا يثق إلا بالله؛ لأن التوكل على الأحياء المعرضين للموت وإن كان قد يفيد أحيانا لكنه لا يدوم... والباء في:(بحمده) للمصاحبة، أي: سبحه تسبيحا مصاحبا للثناء عليه بما هو أهله. فقد جمع له في هذا الأمر التخلية والتحلية مقدما التخلية ؛ لأن شأن الإصلاح أن يبدأ بإزالة النقص.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم يشمل الأمة ما لم يكن دليل على الخصوصية [٣٣] .

١٠- سورة ق آيتي ٣٩، ٤٠:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق:٣٩،٤٠]

قوله في هذه الآية: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي: صل بالثناء على ربك والتنزيه له مما يقول المبطلون، وهذا بإجماع المتأولين ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ يعني صلاة الفجر، ﴿وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ فيها قولان:

أحدهما:صلاة الظهر والعصر، قاله ابن عباس.

والثاني: صلاة العصر، قاله قتادة.

---

(٣٢) ينظر البحر المحيط ١٨٨/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٢/٥.

(٣٣) التحرير والتنوير ٥٩/١٩.

وأخرج البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البدر فقال:(إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا. وقرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾

والباء في (بحمد ربك) يرجح كون المراد بالتسبيح الصلاة ؛ لأن الصلاة تقرأ في كل ركعة منها الفاتحة وهي حمد لله تعالى، فالباء للملابسة [٣٤].

قال الشيخ العثيمين: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أيضا سبح الله من الليل

و چ ژ چ هنا: للتبعيض، يعني سبحه أيضا جزء من الليل، ويدخل في ذلك صلاة المغرب وصلاة العشاء، ويدخل في ذلك أيضا التهجد. ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ أي: وسبح الله أدبار السجود، أي أدبار الصلوات، وهل المراد بالتسبيح أدبار الصلوات النوافل التي تصلى بعد الصلوات كراتبة الظهر بعدها، وراتبة المغرب بعدها، وراتبة العشاء بعدها، أو المراد التسبيح الخاص؟ وهو سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، فيه قولان للمفسرين، ولو قيل بهذا وهذا لكان له وجه [٣٥].

١١– سورة الحاقة آية ٥٢:

(فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾) التسبيح معناه: تنزيه الله من السوء.

(٣٤) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة ق ٤٨/٦، وينظر معالم التنزيل ٣٦٤/٧، والمحرر الوجيز ١٩١/١٥، وزاد المسير ٢٣/٨، والتحرير والتنوير ٣٢٧/٢٦.

(٣٥) تفسير القرآن الكريم للشيخ العثيمين سورة ق ص١١٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقال الضحاك: معناه: فصل باسم ربك، أي: استفتح الصلاة بالتكبير.

وقال ابن جرير: (بذكر ربك وتسميته العظيم).

وقال الرازي: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ إما شكرا على ما جعلك أهلا لإيحائه إليك، وإما تنزيها له عن الرضا بأن ينسب إليه الكاذب من الوحي ما هو بريء عنه [٣٦].

وقال ابن عاشور: وهذا تفريع على جميع ما تقدم من وصف القرآن وتنزيهه عن المطاعن وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عما افتراه عليه المشركون، وعلى ما أيده الله به من ضرب المثل للمكذبين به بالأمم التي كذبت الرسل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يسبح الله تسبيح ثناء وتعظيم شكرا له على ما أنعم به عليه من نعمة الرسالة وإنزال هذا القرآن عليه، والباء: للمصاحبة، أي: سبح تسبيحا بالقول؛ لأنه يجمع اعتقاد التنزيه والإقرار به والتنزيه. والتسبيح: التنزيه عن النقائص بالاعتقاد والعبادة والقول، فتعين أن يجري في التسبيح القولي اسم المنزه، فلذلك قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ ولم يقل: فسبح ربك العظيم. وتسبيح المنعم بالاعتقاد والقول وهما مستطاع شكر الشاكرين إذ لا يبلغ إلى شكره بأقصى من ذلك [٣٧].

المطلب الثاني: الآيات التي أمر فيها بالتلفظ بهذا اللفظ بعينه:(سبحان الله) أو (سبحان ربي)

١- سورة الإسراء آية ٩٣:

(٣٦) ينظر معاني القرآن للزجاج ٢١٨/٥، وجامع البيان ٦٨/٢٩/١٤، وبحر العلوم ٤٠١/٣، وزاد المسير ١٥٠/٨،والتفسير الكبير ١٢٠/٣٠.

(٣٧) ينظر التحرير والتنوير، بتصرف ١٥١/٢٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ [الإسراء:٩٣]

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال ، تنزيها لله عما يصفونه به، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه).

وقال البغوي:(أمره بتنزيهه وتمجيده) (٣٨).

وقال الرازي: وبين بقوله:﴿سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ كونهم على ضلال في الإلاهيات، وفي النبوات. أما في الإلا هيات فيدل على ضلالهم قوله: ﴿سُبۡحَانَ رَبِّي﴾ أي: سبحانه عن أن يكون له إتيان ومجيء وذهاب، وأما في النبوات فيدل على ضلالهم قوله: ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ (٣٩).

٢- سورة يوسف آية ١٠٨:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:١٠٨]

(٣٨) جامع البيان ١٦٤/١٥/٩، ومعالم التنزيل ١٣٠/٥.
(٣٩) التفسير الكبير ٥٩/٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قال ابن جرير: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له، من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه) .

وقال السمرقندي :(تنزيها لله عن الشرك) .

وقال ابن جزي: (تقديره: وأقول : سبحان الله)(٤٠).

وقال الرازي: وقوله:﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عطف على قوله: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ : قل هذه سبيلي. وقل سبحان الله، تنزيها لله عما يشركون، وما أنا من المشركين الذين اتخذوا مع الله ضدا وندا وكفؤا وولدا.

وهذه الآية تدل على أن حرفة الكلام وعلم الأصول حرفة الأنبياء عليهم السلام وأن الله ما بعثهم إلى الخلق إلا لأجلها (٤١).

تنبيه:

وفي نهاية هذا المبحث، أحب أن أشير إلى أن ما ورد في حقه صلى الله عليه وسلم من الأمر بالتسبيح بلغ أكثر مما أمر به غيره من الأنبياء حتى ألوا العزم منهم، فقد بلغ عدد الآيات في هذا المبحث ست عشرة آية، وآية غافر ٥٥، فيها الأمر بالتسبيح بالعشي والإبكار، وآية طه ١٣٠، فيها الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأطراف النهار، وآيتي ق ٣٩-٤٠، فيهما الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل وأدبار السجود، والذي فهم من معنى التسبيح في تلك الأوقات، هو استيعاب جميع الأوقات بالتسبيح، علما أنه قرن الأمر في بعضها بالتحلي بالصبر، و في بعضها بالتلبس بألوان العبادات الأخرى من نحو الاستغفار، وإقامة الصلاة وذكر الله... فلعل ذلك لما حظي به صلى الله عليه وسلم مما حباه

(٤٠) جامع البيان ٨٠/١٣/٨، بحر العلوم للسمرقندي ١٧٩/٢، وتفسير ابن جزي الكلبي ص٣٢٥.
(٤١) التفسير الكبير ٢٢٥/١٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الله من كرامة ومكانة خص بهما في الدنيا والآخرة، فهو صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود ، والشفاعة العظمى، فللوفاء بحق تلك النعمة العظيمة أن يقابلها بالمزيد من إعلان الولاء لله، والتذرع بالصبر والتسبيح لله تعالى، لمواجهة سبل البلاء الذي يعرض لمن هذا حاله، باعتبار أن المرء يبتلى على قدر دينه، فمن قوي دينه اشتد بلاؤه كما ورد في حديث ابن مسعود قال:(دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك [٤٢] فمسسته، فقلت: إنك توعك وعكا شديدا، فقال أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قال: فقلت ذلك أن لك أجرين، فقال صلى الله عليه وسلم: أجل) [٤٣]. فمن كانت هذه حاله فلابد أن يقابل ذلك بالمزيد مما يستعان فيه بالله من ألوان العبادات من التسبيح وقيام الليل وصيام النهار والصبر على البلاء إلى غير ذلك من الأعمال المرضية لله سبحانه وتعالى [٤٤].

المبحث الثاني: في ما يخص الأنبياء: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما يخص نبي الله زكريا –عليه السلام–:

١- سورة آل عمران آية ٤١:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ٤١]

---

(٤٢) الوعك: هو الحمى، وقيل: ألمها، وقد وعكه المرض وعكا، ووعك فهو موعوك. النهاية في غريب الحديث والأثر (وعك) ٢٠٧/٥

(٤٣) أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب شدة المرض ٣/٨.

(٤٤) ينظر من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال و العشي والإبكار ص٦٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قال مقاتل: صل. وقال الزجاج: يقال فرغت من سبحتي، أي: من صلاتي.

وسميت الصلاة تسبيحا؛ لأن التسبيح تعظيم الله، وتبرئته من السوء، فالصلاة يوصف فيها بكل ما يبرئه من السوء.

وقوله چ بِٱلۡعَشِيِّ چ العشي: من حين تزول الشمس إلى آخر النهار.

چ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ چ: ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى [٤٥].

وقال الرازي:(وفي قوله: (سبح) قولان:

أحدهما المراد منه: وصل ؛ لأن الصلاة تسمى تسبيحا قال الله تعالى:(فسبحان الله حين تمسون) وأيضا الصلاة مشتملة على التسبيح، فجاز تسمية الصلاة بالتسبيح، وههنا دليل دل على وقوع هذا المحتمل وهو من وجهين:

الأول: أنا لو حملناه على التسبيح والتهليل لم يبق بين الآية وما قبله وهو قوله:(واذكر بك) فرق، وحينئذ يبطل؛ لأن عطف الشيء على نفسه غير جائز.

والثاني وهو أنه شديد الموافقة لقوله تعالى:(أقم الصلاة طرفي النهار).

وثانيهما: أن قوله: (واذكر ربك) محمول على الذكر باللسان) [٤٦].

٢ –سورة مريم آية ١١:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم: ١١]

(٤٥) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤٠٨/١، وجامع البيان ٢٦٤/٣/٣، والمحرر الوجيز ٨١/٣، وزاد المسير ٣٨٦/١، وتفسير النسفي ١٥٧/١.

(٤٦) التفسير الكبير ٤٢/٨.

أي: صلوا، (بُكْرَةً) هو ما بين طلوع الفجر إلى وقت الضحى،

(وَعَشِيًّا) العشي: من حين تزول الشمس إلى آخر النهار.

وقال البعض: التسبيح على ظاهره وهو: التنزيه أي: نزهوا ربكم طرفي النهار، ولعله عليه السلام كان مأمورا بأن يسبح شكرا ويأمر قومه.

وفي هذا معنى لطيف: وهو أنه إنما خص التسبيح بالذكر؛ لأن العادة جارية أن كل من رأى أمرا عجب منه أو رأى فيه بديع صنعة أو غريب حكمة يقول: سبحان الله تعالى سبحان الخالق جل جلاله، فلما رأى حصول الولد من شيخ وعاقر، عجب من ذلك، فسبح وأمر بالتسبيح(٤٧).

المطلب الثاني: ما يخص نبي الله يونس -عليه السلام- : وفيه آيتان.

١-سورة الصافات آية ١٤٣:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الصافات:١٤٣]

المراد بالتسبيح في هذه الآية فيه ثلاثة أقوال:

الأول: من المصلين، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

الثاني: من العابدين، قاله مجاهد ووهب بن منبه.

(٤٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤٠٩/١، وجامع البيان ٢٩٢/٣/٣، وزاد المسير ٣٨٦/١، وروح المعاني ٧١/١٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الثالث: قول: (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) الأنبياء: ٨٧ قاله: الحسن . وروى عمران القطان عن الحسن قال: والله ما كانت إلا صلاة أحدثها في بطن الحوت؛ فعلى هذا القول، يكون تسبيحه في بطن الحوت.

ولعل الراجح في ذلك ما اختاره جمهور العلماء: على أنه أراد: لولا ما تقدم له قبل التقام الحوت إياه من التسبيح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٤] قال قتادة: لصار بطن الحوت له قبرا إلى يوم القيامة، ولكنه كان كثير الصلاة في الرخاء، فنجاه الله تعالى بذلك (٤٨).

٢- سورة الأنبياء آية ٨٧:

قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧]

قال ابن جرير: (يقول: نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه، تائبا من خطيئته).

والمقام يقتضي هذا التنزيه، فإن يونس عليه السلام كان مليما عندما التقمه الحوت، فهو بهذا التسبيح ينزه الله تعالى عن الظلم وغيره من المعايب، فكأنه يقول: أنت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب، بل أنا الظالم لنفسي، ولهذا قال بعده:

(إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾) وهذا اعتراف بالذنب، وهو استغفار؛ لأن هذا الاعتراف يتضمن طلب المغفرة، فهو عليه السلام سأل ربه المغفرة بوصف حاله (٤٩).

---

(٤٨) ينظر جامع البيان ١٠٠/٢٣/١٢، ومعالم التنزيل ٦٠/٧، وزاد المسير ٨٧/٧، والجامع لأحكام القرآن ١٢٧/١٥، وأضواء البيان ٦٨٢/٤.

جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقال الرازي: وإنما قال: (سُبْحَٰنَكَ ﴿٨٧﴾) لأن تقديره: سبحانك أن تفعل ذلك جورا أو شهوة للانتقام، أو عجزا عن تخليصي عن هذا الحبس، بل فعلته بحق الإلاهية وبمقتضى الحكمة .

أما قوله: (إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾) فالمعنى: ظلمت نفسي بفراري من قومي بغير إذنك، كأنه قال: كنت من الظالمين، وأنا الآن من التائبين النادمين، فاكشف عني المحنة [٥٠].

المطلب الثالث: ما يخص موسى وهارون –عليهما السلام – :

١– سورة طه آيتي ٣٣، ٣٤:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [طه:٣٣] قال الكلبي: نصلي لك كثيرا.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه:٣٤]نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك.

وتقديم التسبيح على الذكر من باب تقديم التخلية على التحلية، وقيل: لأن التسبيح تنزيه عما لا يليق ومحله القلب، والذكر ثناء بما يليق ومحله اللسان، والقلب مقدم على اللسان [٥١].

وقال الرازي: (والتسبيح يحتمل أن يكون باللسان وأن يكون بالاعتقاد، وعلى كلا التقديرين فالتسبيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به، وأما الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء، ولا شك أن النفي مقدم على الإثبات) [٥٢].

---

(٤٩) ينظر جامع البيان ٨١/١٧/١٠، ومعالم التنزيل ٣٥١/٥، وزاد المسير ٣٨٣/٥، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤٤/١٠.

(٥٠) التفسير الكبير ٢١٦/٢٢.

(٥١) ينظر معالم التنزيل ٢٧٢/٥، وزاد المسير ٢٨٢/٥،والجامع لأحكام القرآن ١٩٤/١١، وروح المعاني ١٨٦/١٦..

(٥٢) التفسير الكبير ٥٠/٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وعلل موسى عليه السلام سؤاله تحصيل ما سأله لنفسه ولأخيه، بأن يسبحا الله كثيرا ويذكرا الله كثيرا. ووجه ذلك أن فيما سأله لنفسه تسهيلا لأداء الدعوة بتوفر آلاتها ووجود العون عليها وذلك مظنة تكثيرها (٥٣)

المطلب الرابع: ما يخص نبي الله عيسى – عليه السلام – :

١- سورة المائدة الآية ١١٦:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة:١١٦]

قوله تعالى: (**سُبْحَٰنَكَ**) أي: براءة لك من السوء.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله: **﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾** قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلقاه الله:

﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾ الآية كلها. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح (٥٤).

(٥٣) التحرير والتنوير ٢١٣/١٦.

وقد بدأ نبي الله عيسى جوابه بالتسبيح لله تعالى، وذلك لأمرين:

الأول: تنزيها لله تعالى عما أضيف إليه مما لا يليق به، وبراءة إليه سبحانه مما قالته الكفرة من النصارى فيه وفي أمه، فيعلم من كان يقول ذلك أنه إنما كان يقول باطلا.

الثاني: تعظيما لله تعالى وثناء عليه، وخضوعا له وخوفا منه، لا إله غيره ولا رب سواه [٥٥].

وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بـ (ٱتَّخِذُونِي) ، وحرف (من) صلة توكيد، وذكر هذا المتعلق إلزاما لهم بشناعة إثبات إلهية لغير الله؛ لأن النصارى لما ادعوا حلول الله في ذات عيسى توزعت الإلاهية وبطلت الوحدانية.

وجواب عيسى عليه السلام بقوله: (سُبْحَٰنَكَ) تنزيه لله تعالى عن مضمون تلك المقالة، وكانت المبادرة بتنزيه الله تعالى أهم من تبرئة نفسه، على أنها مقدمة للتبري؛ لأنه إذا كان ينزه الله عن ذلك فلا جرم أنه لا يأمر به أحدا [٥٦].

المطلب الخامس: ما يخص نبي الله موسى – عليه السلام – :

١- سورة الأعراف آية ١٤٣:

(٥٤) سنن الترمذي كتاب التفسير سورة المائدة ٥/٢٦٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ٢٤٥٠.
(٥٥) ينظر جامع البيان ٥/١٣٧، وزاد المسير ٢/٤٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٦/٣٧٥.
(٥٦) ينظر التحرير والتنوير ٧/١١٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف:١٤٣]

قوله تعالى: (سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) يشير أول الآية إلى طلب موسى صلى الله عليه وسلم من ربه رؤيته، فأخبره سبحانه أنه لا يقوى ولا يثبت لذلك، ولذلك أرشده إلى النظر إلى الجبل فإنه إن استقر مكانه فإنه سوف يراه، لكن الجبل اندك حين تجلى الرب جل جلاله للجبل، فهنا خر موسى صعقا من هول ما رأى، فلما أفاق موسى عليه السلام من غشيته، وهدأت حاله، قال: (سُبۡحَٰنَكَ)

وهذا تسبيح من موسى عليه السلام لربه عز وجل وتعظيما له في ذلك الموقف الهائل، لما رأى من عظمة الله، التي تستدعي تنزيهه عما لا يليق بجلاله وكماله وعظمته، وأنه لا يقوى أحد على الثبات لرؤيته عيانا في الدنيا (٥٧).

(٥٧) ينظر جامع البيان ٥٥/٩/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨٤/٤، وفتح القدير للشوكاني ٢٤٤/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٣٠٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث الثالث:في ما يخص الملائكة:وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في ما يخص عموم الملائكة: وفيه الآيات التالية:

١- سورة الصافات آية ١٦٦

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات:١٦٦]

قال قتادة:هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة.

وقال ابن كثير: (أي: فنحن نسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له، فقراء إليه، خاضعون لديه) (٥٨).

واعلم أن هاتين الآيتين يفيدان الحصر، ومعناه أنهم هم الصافون في مواقف العبودية لا غيرهم، وأنهم هم المسبحون لا غيرهم، وذلك يدل على أن طاعات البشر ومعارفهم بالنسبة إلى طاعات الملائكة وإلى معارفهم كالعدم، حتى يصح الحصر (٥٩).

والمراد بالمسبيحن: المنزهون لله تعالى عن أن يتخذ ولدا أو يكون خلق صهرا له أوصاحبة خلافا لشرككم، إذ عبادتكم مكاء وتصدية، وخلافا لكفركم إذ تجعلون له صواحب وبنات وأصهارا.

(٥٨) ينظر جامع البيان ١١٢/٢٣/١٢،والجامع لأحكام القرآن ١٣٨/١٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٢/٦.
(٥٩) ينظر التفسير الكبير ١٧١/٢٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وحذف متعلق(الصافون..والمسبحون) لدلالة قوله:(ما أنتم عليه بفاتنين) عليه، أي: الصافون لعبادته المسبحون له، فإن الكلام في هذه الآيات كلها متعلق بشؤون الله تعالى. وتعريف جزأي الجملة، وضمير الفصل من قوله:(لنحن) يفيدان قصرا مؤكدا فهو قصر قلب، أي: دون ما وصفتموه به من البنوة لله [٦٠].

٢- سورة البقرة الآيات ٣٠-٣٢:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٠- ٣٢]

في هذه الآية أخبر الملائكة عن أنفسهم بأنهم يسبحون لله ويقدسونه عما لا يليق بجلاله.

قال بعض العلماء: التسبيح هنا على أصله، والتقديس: الصلاة.

وعكس آخرون فقالوا: التسبيح الصلاة، والتقديس : التطهير والتعظيم.

وذهب آخرون إلى أن التسبيح: هو التنزيه والتبرئة، على أصله.

والتقديس: هو التنزيه والتعظيم، ونسبته تعالى إلى ما هو من صفاته من الطهارة.

فمعنى قول الملائكة: (**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ**) ننزهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك، ونصلي لك. (**وَنُقَدِّسُ لَكَ**) ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضافه إليك أهل الكفر بك [٦١].

---

(٦٠) ينظر التحرير والتنوير٢٤/١٦٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وجملة: (قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ) استئناف واقع موقع الجواب، كأنه قيل: فماذا (قالوا) إذ ذاك؟: هل خرجوا من عهدة ما كلفوه أولا؟ فقيل: (قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ).

والغرض من هذا الجواب: الاعتراف بالعجز عن أمر الخلافة، والقصور عن معرفة الأسماء على أبلغ وجه، كأنهم قالوا: لا علم لنا إلا ما علمتنا- ولم تعلمنا الأسماء –فكيف نعلمها؟ وفيه إشعار بأن سؤالهم لم يكن إلا استفسارا، إذ لا علم لهم إلا من طريق التعليم، ومن جملته علمهم بحكمة الاستخلاف مما تقدم – فهو بطريق التعليم أيضا – فالسؤال المترتب هو عليه سؤال مستفسر لا معترض، وثناء عليه تعالى بما أفاض عليهم مع غاية التواضع ومراعاة الأدب وترك الدعوى، ولهذا لم يقولوا – لا علم لنا بالأسماء – مع أنه كان مقتضى الظاهر ذلك [٦٢].

٣-سورة فصلت آية ٣٨:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فُصِّلَت:٣٨]

هذه الآية دالة على أن الملائكة لا يتعبون ولا يملون من التسبيح لله ليلا ولا نهارا[٦٣].

---

(٦١) ينظر جامع البيان ٢٢٠/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٦/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٧/١، وشفاء العليل لابن القيم ٧٥/٢.

(٦٢) ينظر روح المعاني ٢٢٦/١.

(٦٣) ينظر جامع البيان ١٢١/٢٤/١٢، ومعالم التنزيل ١٧٥/٧، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٤/١٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وجملة: (فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) دليل على جواب الشرط. والتقدير: فإن تكبروا عن السجود لله فهو غني عن سجودهم ؛ لأن له عبيدا أفضل منهم لا يفترون عن التسبيح له بإقبال دون سآمة، والمراد بالتسبيح: كل ما يدل على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به بإثبات أضداد ما لا يليق به، أو نفي ما لا يليق، وذلك بالأقوال أو الأعمال، وذلك ما يقتضيه قوله: (وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ) من كون ذلك التسبيح قولا وعملا وليس مجرد اعتقاد [٦٤].

٤-سورة الأنبياء آيتي ١٩، ٢٠:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:١٩،٢٠]

قوله في هذه الآية: (وَمَنْ عِندَهُۥ) يعني بهم الملائكة، وقد تضمنت هذه الآية بيان أن الملائكة عند تسبيحهم لله لا يستكبرون عن عبادته، ولا يستحسرون، أي: لا يتعبون ولا يملون، وهذا كالبيان لقوله: (وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) ؛ لأن من يحب أمرا ولا يتعب منه، ولا يتركه لا يمل منه بل يواظب عليه .قال كعب الأحبار: التسبيح لهم كالنفس لبني آدم [٦٥].

والاستحسار: مصدر كالحسور وهو التعب، فالسين والثاء فيه للمبالغة في الوصف كالاستكبار والاستنكار، أي: لا يصدر منهم الاستحسار الذي هو التعب الشديد الذي يقتضيه عملهم العظيم، أي: لا يقع منهم ما لو قام بعملهم غيرهم لا ستحسر ثقل ذلك العمل، فعبر بالاستحسار هنا الذي هو الحسور

(٦٤) ينظر التحرير والتنوير ٣٠١/٢٤.
(٦٥) ينظر معالم التنزيل ٣١٣/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٦/٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

القوي؛ لأنه المناسب للعمل الشديد، ونفيه من قبيل نفي المقيد بقيد خرج مخرج الغالب في أمثاله، فلا يفهم من نفي الحسور القوي أنهم قد يحسرون حسورا ضعيفا. وهذا المعنى قد يعبر عنه أهل المعاني بأن المبالغة في النفي لا في المنفي (٦٦).

٥- سورة الأعراف آية ٢٠٦:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف:٢٠٦]

المراد بالذين عند ربك في هذه الآية هم : الملائكة.

وهذه العندية تعني قربهم من الله تعالى، ورفعة منزلتهم على غيرهم من المخلوقات.

ثم وصفهم بثلاث صفات:

الأولى: أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله تعالى.

والثانية: أنهم يسبحونه.

والثالثة: أنهم يسجدون له.

فهذه الأوصاف المجتمعة بهم دالة على كمال عبوديتهم لله تعالى، عبودية القلب والقول والعمل. فعدم الاستكبار عبادة قلبية تنشأ عنها العبادة القولية والبدنية،

والتسبيح هو ذكرهم لله تعالى وتنزيههم له عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته،

واختيار صيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار،

---

(٦٦) ينظر التحرير والتنوير ٣٦/١٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وتقديم المعمول من قوله: ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ للدلالة على الاختصاص أي:

ولا يسجدون لغيره، وهذا تعريض بالمشركين الذين يسجدون لغيره،

والمضارع يفيد الاستمرار أيضا [٦٧].

٦- سورة الرعد آية ١٣:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [الرعد:١٣]

الحديث في هذه الفقرة عن تسبيح الملائكة فقط .

وسيأتي الحديث عن تسبيح الرعد في المبحث السادس: في ما يخص عموم المخلوقات.

قال ابن جرير ومعنى قوله:(وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ) ويعظم الله الرعدُ ويمجده، فيثني عليه بصفاته، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد.

وقوله: (مِنۡ خِيفَتِهِۦ) أي:وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته) [٦٨].

قال ابن عباس: إنهم خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء [٦٩].

---

(٦٧) ينظر جامع البيان ١٦٨/٩/٦،وبدائع الفوائد لابن القيم ٢٣/١، وفتح القدير ٢٨١/٢،وروح المعاني ١٥٥/٩، والتحرير والتنوير ٢٤٤/٩.

(٦٨) جامع البيان ١٢٤/١٣/٨.

(٦٩) ينظر البسيط للواحدي ،٣١٥/١٢، وزاد المسير ٣١٤/٤، والمحرر الوجيز ٢٦/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

- سورة الشورى آية ٥:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشورى:٥]

أي: ينزهونه عما لا يجوز في وصفه وما لا يليق بجلاله،

وقيل: يتعجبون من جرأة المشركين؛ فيذكر التسبيح في موضع التعجب.

وعن علي رضي الله عنه: أن تسبيحهم تعجب مما يرون من تعرضهم لسخط الله.

وقال ابن عباس: تسبيحهم خضوع لما يرون من عظمة الله.

وصف الله سبحانه وتعالى الملائكة عند سماعهم فرية الكفار في نسبة الولد لله، بأنهم يسبحون الله أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفا منه وهيبة وإجلالا [٧٠].

٨ – سورة سبأ آية ٤١:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [سبأ:٤١]

(٧٠) ينظر زاد المسير ٢٧٢/٧، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٦، وأضواء البيان للشنقيطي ١٥٢/٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

افتتح الملائكة جوابهم لله بالتسبيح له تعالى، أي: تنزيها لك أن يكون معك شريك في العبادة، فنحن عبيدك مفتقرون إلى ولايتك، فلا نتخذ وليا من دونك، ونبرأ إليك ممن يشرك بك [٧١].

وقوله: (قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ) استئناف بياني كأنه قيل: فماذا تقول الملائكة حينئذ؟ فقيل: تقول منزهين عن ذلك: والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على التحقق أي: أنت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم، كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم، ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم: (بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ) أي: الشياطين [٧٢].

المطلب الثاني: في ما يخص حملة العرش: وفيه آيتان:

١-سورة غافر آية ٧:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر:٧]

(٧١) ينظر جامع البيان ١٠٢/٢٢/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٩/٦، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٨٢.

(٧٢) ينظر روح المعني ١٥١/٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ) ذكر الله تعالى في هذه الآية صنفين من الملائكة يسبحون بحمده ،وهما:

١- حملة العرش. ٢- الذين يطوفون من حوله.

ثم أثنى عليهم سبحانه بذكر بعض أوصافهم فذكر لهم ثلاث صفات:

الأولى: (يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ) والتسبيح من أعظم أنواع العبادة لله سبحانه، وسائر العبادات تدخل تحته.

الثانية: (وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ) أي: يقرون له بالعبادة والوحدانية.

الثالثة:(وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ) أي:يستغفرون لعموم المؤمنين، المقرين لله بالوحدانية [٧٣].

والإخبار عن صنفي الملائكة بأنهم يسبحون ويؤمنون به توطئة وتمهيدا للإخبار عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا فذلك هو المقصود من الخبر، فقدم له ما فيه تحقيق استجابة استغفارهم لصدوره ممن دأبهم التسبيح وصفتهم الإيمان. وصيغة المضارع في:

(يُسَبِّحُونَ) (وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ)(وَيَسۡتَغۡفِرُونَ) مفيدة لتجدد ذلك وتكرره، وذلك مشعر بأن المراد أنهم يفعلون ذلك في الدنيا [٧٤] .

٢-سورة الزمر آية ٧٥:

(٧٣) ينظر جامع البيان ٤٤/٢٤/١٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٨٢/٦، وتيسير الكريم الرحمن ص٧٣٢.
(٧٤) ينظر التحرير والتنوير ٨٩/٢٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزُّمَر:٧٥]

قوله تعالى: ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي:محدقين محيطين بالعرش،

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ﴾ أي: يمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن الجور وعن كل ما لا يليق بجلاله [٧٥].

وجملة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ﴾ حال، أي: يقولون أقوالا تدل على تنزيه الله تعالى وتعظيمه ملابسة لحمدهم إياه.

فالباء في (بحمد ربهم) للملابسة تتعلق بـ (يسبحون)

وفي استحضار الله تعالى بوصف ربهم إيماء إلى أن قربهم من العرش ترفيع في مقام العبودية الملازمة للخلائق [٧٦].

المبحث الرابع:في ما يخص أهل الجنة:وفيه آية واحدة:

سورة يونس آية ١٠:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(٧٥) ينظر معالم التنزيل ١٣٤/٧، والمحرر الوجيز ١٠٨/١٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٧/٦.
(٧٦) ينظر التحرير والتنوير ٧٤/٢٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس:١٠]

فإن معناه:دعاؤهم فيها سبحانك اللهم، تلذذا بذكره لا عبادة.

وقال ابن جريج: أخبرت بأنه إذا مر بهم الطير فيشتهونه، قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما اشتهوا، فيسلم عليهم ، فيردون عليه (٧٧).

وقال الرازي في تأويل هذه الآية:المراد اشتغال أهل الجنة بتقديس الله سبحانه وتمجيده والثناء عليه؛ لأجل أن سعادتهم في هذا الذكر وابتهاجهم به وسرورهم به، وكمال حالهم لا يحصل إلا منه (٧٨).

المبحث الخامس: في ما يخص خواص المؤمنين:وفيه الآيات التالية:

١-سورة الأحزاب آيتي ٤١، ٤٢.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤٠،٤١]

(٧٧) ينظر جامع البيان ٨٩/١١/٧، والبسيط ١٣١/١١، والجامع لأحكام القرآن ٣١٣/٨، وتفسير النسفي ١٥٤/٢.
(٧٨) التفسير الكبير ٤٤/١٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله تعالى: (وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) قال أبو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل. وللمفسرين في هذا التسبيح قولان:

الأول: أنه الصلاة، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بكرة: صلاة الفجر. واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال:

١-:أنها صلاة العصر،قاله أبو العالية، وقتادة.

٢: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب.

٣: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل.

والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قاله مجاهد، والمقصود من البكرة والأصيل: إعمار أجزاء النهار بالذكر والتسبيح بقدر المكنة؛ لأن ذكر طرفي الشيء يكون كناية عن استيعابه، وقدم البكرة على الأصيل؛ لأن البكرة أسبق من الأصيل لا محالة [٧٩].

٢- سورة السجدة آية ١٥:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة:١٥]

(٧٩) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٨/٢، وجامع البيان ١٧/٢٢/١٢،وزاد المسير ٣٩٧/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٣/٦، والتحرير والتنوير ٤٨/٢٢.

قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ خلطوا التسبيح بالحمد، أي نزهوه وحمدوه، فقالوا في سجودهم: سبحان الله وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده، أي تنزيها لله تعالى عن قول المشركين.

وقال سفيان: وسبحوا بحمد ربهم: أي: صلوا حمدا لربهم [٨٠].

ودلت الجملة الشرطية على اتصال تعلق حصول الجواب بحصول الشرط وتلازمهما، وجيء في نفي التكبر عنهم بالمسند الفعلي لإفادة اختصاصهم بذلك، أي: دون المشركين الذين كان الكبر خلقهم فهم لا يرضون لأنفسهم بالانقياد للنبي صلى الله عليه وسلم [٨١].

٣-سورة النور آيتي ٣٦، ٣٧:

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦،٣٧]

ورد في المراد بالتسبيح قولان: أحدهما: أنه الصلاة.

وورد في الصلاة بالغدو قولان:

أحدهما: أنها صلاة الفجر، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

الثاني: صلاة الضحى، روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال: إن صلاة الضحى لفي كتاب الله، وما يغوص عليها إلا غواص، ثم قرأ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾

(٨٠) ينظر البسيط ١٤٨/١٨،والمحرر الوجيز ٣٦/١٣، والجامع لأحكام القرآن ٩٩/١٤، وتفسير النسفي ٢٨٩/٣.
(٨١) ينظر التحرير والتنوير ٢٢٨/٢١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وفي صلاة الآصال قولان:

الأول: أنها صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب.

الثاني: صلاة العصر، قاله أبو سليمان الدمشقي.وإنما وحد الغدو؛ لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات.

والقول الثاني في المراد بالتسبيح: أنه التسبيح المعروف [٨٢].

٤-سورة الفتح آية ٩:

قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح:٩]

قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ هذه الهاء ترجع إلى الله عز وجل، والمراد بالتسبيح هاهنا: الصلاة. والمراد بصلاة البكرة: الفجر، وبصلاة الأصيل: باقي الصلوات الخمس، والبكرة أول النهار، والأصيل آخره، وهما كناية عن استيعاب الأوقات بالتسبيح والإكثار منه، كما يقال: شرقا وغربا لاستيعاب الجهات [٨٣].

(٨٢) ينظر جامع البيان ١٤٦/١٨/١٠، والبسيط ٢٩٣/١٦، وزاد المسير ٤٧/٦.

(٨٣) ينظر البسيط ٢٩٠/٢٠، وزاد المسير ٤٢٧/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٦، وتفسير النسفي ١٥٨/٤، والتحرير والتنوير ١٥٦/٢٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٥-سورة الزخرف آية ١٣:

قال تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الزُّخرُف:١٣]

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ أي: ذلل لنا هذا المركب.

﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ قال أبو عبيدة: ضابطين، يقال: فلان مقرن لفلان أي: ضابط له مطيق.

وقال ابن عباس:يريد: ولا طاقة لنا بالإبل ولا بالفلك ولا بالبحر لولا أن الله سخره لنا (٨٤).

وافتتح هذا الشكر اللساني بالتسبيح؛ لأنه جامع للثناء إذ التسبيح تنزيه الله عما لا يليق، فهو يدل على التنزيه عن النقائص بالتصريح، ويدل ضمنا على إثبات الكمالات لله في المقام الخطابي (٨٥).

٦- سورة آل عمران آية ١٩١:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران:١٩١]

(٨٤) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٠٢/٢، والوسيط ٦٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٦.
(٨٥) ينظر التحرير والتنوير١٧٤/٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ أي: براءة لك من السوء، وتنزيها لك أن تكون خلقتهما باطلا؛ لأنهم لما تأملوا وقاسوا أحوال هذه المصنوعات إلى صانعها رأوا أنه لا بد وأن يكون الصانع منزها عن مشابهة شيء منها [٨٦].

٧- سورة الإسراء آية ١٠٨:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء:١٠٨]

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن مؤمني أهل الكتاب، أنهم يسبحون الله وينزهونه عما لا يليق بجلاله.

قال ابن جرير:(يقول جل ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول القرآن، إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم، تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولا حقا يقينا، إيمان بالقرآن وتصديق به) [٨٧] .

(٨٦) ينظر زاد المسير ٥٢٧/١، والجامع لأحكام القرآن ٣١٦/٤، وروح المعاني ١٦٠/٤.
(٨٧) ينظر جامع البيان ١٨٠/١٥/٩،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٢/٣، وروح المعاني ١٩٠/١٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث السادس: في ما يخص عامة الخلق:وفيه الآيات التالية:

١-سورة الحديد آية ١ :

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الحديد: ١]

قوله تعالى :﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾أي: أن كل ما دونه من خلقه يسبحه تعظيما له، وإقرارا بربوبيته، وإذعانا لطاعته.

أما تسبيح ما يعقل فمعلوم، وتسبيح ما لا يعقل فهل هو على إطلاقه، أم لا؟ فيه قولان: الأول: أنه على إطلاقه، فكل شيء يسبحه حتى الثوب والطعام وصرير الباب، قاله إبراهيم النخعي.

الثاني: أنه عام يراد به الخاص. ثم فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه كل شيء فيه الروح، قاله الحسن، وقتادة ، والضحاك.

الثاني:أنه كل ذي روح، وكل نام من شجر أو نبات، قال عكرمة: الشجرة تسبح، والأسطوانة لا تسبح.

الثالث: أنه كل شيء لم يغير عن حاله، فإذا تغير انقطع تسبيحه؛

روى خالد ابن معدان عن المقدام بن معدي كرب قال: إن التراب ليسبح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الورقة تسبح مادامت على الشجرة، فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديدا فإذا توسخ ترك التسبيح.

فأما تسبيح الحيوان الناطق، فمعلوم، وتسبيح الحيوان غير الناطق، فجائز أن يكون بصوته، وجائز أن يكون بدلالته على صانعه.

وفي تسبيح الجمادات ثلاثة أقوال:

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الأول: أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله.

الثاني: أنه خضوعه وخشوعه لله.

الثالث: أنه دلا لته على صانعه، فيوجب ذلك تسبيح مبصره.

فإن قلنا: إنه تسبيح حقيقة، كان قوله: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء:٤٤] لجميع الخلق؛ وإن قلنا: إنه دلالته على صانعه، كان الخطاب للكفار، لأنهم لا يستدلون، ولا يعتبرون (٨٨).

ولعل الأولى في ذلك أن يقال : أنه تسبيح لا يعلمه إلا الله.

٢- سورة الحشر الآيات ١، ٢٣، ٢٤:

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحشر:١]

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٣]

وقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر:٢٤]

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ قوله:(سبح) أي: صلى لله، وسجد له ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ من خلقه.

(٨٨) ينظر جامع البيان ٢١٥/٢٤/١٣، وزاد المسير ٣٩/٥، والضوء المنير على التفسير ١٠١/٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وافتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح ما في السموات والأرض لله تعالى تذكير للمؤمنين بتسبيحهم لله تسبيح شكر على ما أنالهم من فتح بلاد بني النضير، فكأنه قال: سبحوا لله كما سبح له ما في السموات والأرض، وتعريض بأولئك الذين نزلت السورة فيهم لأنهم إنما أصابهم ما أصابهم لتكبرهم عن تسبيح الله حق تسبيحه، بتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم إذ أعرضوا عن النظر في دلائل رسالته أو كابروا في معرفتها.

وقولـــــــه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحشر:٢٣]

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يقول: تنزيها لله وتبرئة له عن شرك المشركين به ، ذيلت هذه الصفات بتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شركاء بأن أشرك به المشركون، فضمير (يشركون) عائد إلى معلوم من المقام وهم المشركون الذين لم يزل القرآن يقرعهم بالمواعظ.

وقولـــه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢٤].

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ يقول: يسبح له جميع ما في السموات والأرض، ويسجد له طوعا وكرها.

فجملة: (يسبح) في موضع الحال من ضمير: (له الأسماء الحسنى) يعني أن اتصافه بالصفات الحسنى يضطر ما في السموات والأرض من العقلاء على تعظيمه بالتسبيح والتنزيه عن النقائص، فكل صنف يبعثه علمه ببعض أسماء الله على أن ينزهه ويسبحه بقصد أو بغير قصد، فالدهري أو الطباعي إذا نوه بنظام الكائنات وأعجب باتساقها فإنما يسبح في الواقع للفاعل المختار وإن كان هو يدعوه دهرا أو طبيعة، هذا إن حمل التسبيح على معناه الحقيقي وهو التنزيه بالقول، فأما إن حمل على ما يشمل المعنيين الحقيقي والمجازي من دلالة على التنزيه ولو بلسان الحال.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

فالمعنى: أن ما ثبت له من صفات الخلق والإمداد والقهر تدل عليه شواهد المخلوقات وانتظام وجودها (٨٩).

٣-سورة الصف آية ١:

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ [الصف: ١]

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ سبق بيان معنى ذلك في الفقرة السابقة رقم (٢)، في فاتحة سورة الحشر.

٤-سورة الجمعة آية ١:

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [الجمعة: ١]

قوله تعالى :﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يقول تعالى ذكره: يسبح لله كل ما في السموات السبع، وكل ما في الأرضين السبع من خلقه، ويعظمه طوعا وكرها.

وافتتاح السورة بالإخبار عن تسبيح أهل السماوات والأرض لله تعالى براعة استهلال ؛ لأن الغرض الأول من السورة التحريض على شهود الجمعة والنهي عن الأشغال التي تشغل عن شهودها وزجر فريق من المسلمين انصرفوا عن صلاة الجمعة حرصا على الابتياع من عير وردت المدينة في وقت حضورهم لصلاة الجمعة.

(٨٩) ينظر جامع البيان ٢٧/٢٨/١٤-٥٦، وفتح القدير ١٦٥/٥-٢٠٨، والتحرير والتنوير ٦٤/٢٨-١٢٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وللتنبيه على أن أهل السماوات والأرض يجددون تسبيح الله ولا يفترون عنه أوثر المضارع في قوله: (يسبح) (١)

٥-سورة التغابن آية ١:

قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن:١]

قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع وما في الأرض من خلقه ويعظمه.

فالمعنى: يسبح لله ما في السماوات والأرض، والمشركون بخلاف ذلك،

وهذا يفيد ابتداء: تقرير تنزيه الله تعالى وقوة سلطانه، ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويكون لهم تعليما وامتنانا،

ويفيد ثانيا بطريق الكناية: تعريضا بالمشركين الذين لم ينزهوه ولا وقروه فنسبوا إليه شركاء.

وجيء بفعل التسبيح مضارعا للدلالة على تجدد ذلك التسبيح ودوامه [٩٠].

٦- سورة القلم آيتي ٢٨، ٢٩:

قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [القلم:٢٨،٢٩]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: قال مجاهد: يقول: تستثنون، فكان التسبيح فيهم الاستثناء.

---

(٩٠) ينظر جامع البيان ١١٩/٢٨/١٤، وفتح القدير ٢٣٥/٥،والتحرير والتنوير ٢٦٠/٢٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله عن أن يكون ظالما فيما فعل، قال ابن عباس في قولهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ أي نستغفر الله من ذنبنا.

وكان جوابهم يتضمن إقرارا بأنه وعظهم فعصوه ودلوا على ذلك بالتسبيح حين ندمهم على عدم الأخذ بنصيحته فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أرادوا إجابة تقريره باقرار بتسبيح الله عن أن يعصى أمره في إعطاء حق المساكين، فإن من أصول التوبة تدارك ما يمكن تداركه، واعترافهم بظلم المساكين من أصول التوبة؛ لأنه خبر مستعمل في التندم، والتسبيح مقدمة الاستغفار من الذنب [٩١].

٧- سورة الرعد آية ١٣:

قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣]

أخرج الترمذي عن ابن عباس قال:أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو ؟ قال: ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا: صدقت) [٩٢].

قال ابن جرير ومعنى قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ ويعظم الله الرعدُ ويمجده، فيثني عليه بصفاته،وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به، ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد.

---

(٩١) ينظر جامع البيان ٣٥/٢٨/١٤، وزاد المسير ٣٣٨/٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٤/١٨، والتحرير والتنوير ٨٦/٢٩.

(٩٢) سنن الترمذي كتاب التفسير باب: ومن سورة الرعد ٢٩٤/٤ح٣١١٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: وجملة القول أن الحديث عندي حسن على أقل الدرجات ٤٩٣/٤ح١٨٧٢.

جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقوله: (من خيفته) أي:وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته) [٩٣].

قال ابن عباس: إنهم خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء [٩٤].

وقال الألوسي: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ﴾ قيل: هو اسم الصوت المعلوم، والكلام على حذف مضاف أي: سامعو الرعد، أو الإسناد مجازي من باب الإسناد للحامل والسبب، والباء في قوله سبحانه:(وبحمده) للملابسة، والجار والمجرور في موضع الحال أي: يسبح السامعون لذلك الصوت متلبسين بحمد الله تعالى فيضجون بسبحان الله والحمد لله.

وقيل: لا حذف ولا تجوز في الإسناد وإنما التجوز في التسبيح والتحميد حيث شبه دلالة الرعد بنفسه على تنزيهه تعالى عن الشريك والعجز، بالتسبيح والتنزيه اللفظي ودلالته على فضله جل شأنه ورحمته بحمد الحامد لما فيهما من الدلالة على صفات الكمال،

وقيل: إنه مجاز مرسل استعمل في لازمه،

وقيل: الرعد اسم ملك فإسناد التسبيح والتحميد إليه حقيقة [٩٥].

ولعل هذا القول أرجح الأقوال للحديث السابق عند الترمذي.

---

(٩٣) جامع البيان ١٢٤/١٣/٨.

(٩٤) ينظر البسيط للواحدي ،٣١٥/١٢، وزاد المسير ٣١٤/٤، والمحرر الوجيز ٢٦/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٥/٩.

(٩٥) روح المعاني ١١٨/١٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث السابع:في ما يخص الحيوانات والجمادات: وفيه الآيات التالية:

١-سورة الإسراء آية ٤٤:

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء:٤٤]

قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ يقول: تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا، السماوات السبع والأرض، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندكم، تفترون عليه بما تفترون.

وقوله: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ يقول جل ثناؤه: وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده.

واختلف في هذا العموم، هل هو مخصوص أم لا؛

فقالت فرقة: ليس مخصوصا: والمراد به تسبيح الدلالة، وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر.

وقالت طائفة: هذا التسبيح حقيقة، وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه، ولو كان ما قاله الأولون من أنه أثر الصنعة والدلالة لكان أمرا مفهوما، والآية تنطق بأن هذا التسبيح لا يفقه.

وأجيبوا: بأن المراد بقوله: (لا تفقهون) الكفار الذين يعرضون عن الاعتبار فلا يفقهون حكمة الله سبحانه وتعالى في الأشياء.

وقالت فرقة: قوله: (من شيء)عموم ومعناه الخصوص في كل حي ونام، وليس ذلك في الجمادات، ومن هذا قول عكرمة: الشجرة تسبح والأسطوانة لا تسبح.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقال الآخرون: إن كل شيء من الجماد وغيره يسبح، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص:١٨] وقوله: (ياجبال أوبي معه) وكذلك ما ورد في الصحيح من تكثير الماء بين يديه صلى الله عليه وسلم لما كانوا في سفر فقل الماء فقال: (اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل [٩٦].

ولو كان التسبيح هو مجرد دلا لتها على صانعها لم يقل:﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها.

لكن الذين يقولون إنه تسبيح دلالة، يقولون إن قوله تعالى: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ خطاب للكفار؛ لأنهم لا يستدلون، ولا يعتبرون [٩٧].

٢-سورة النور آية ٤١:

قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور:٤١]

(٩٦) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب: علامات النبوة ١٧١/٤، ومسلم في كتاب الفضائل باب: في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٨٣/٢ح٢٢٧٩، والبغوي في شرح السنة ٢٩٠/١٣.

(٩٧) ينظر جامع البيان ٩٢/١٥/٩، ومعالم التنزيل٩٦/٥، وزاد المسير ٤٠/٥، والجامع لأحكام القرآن٢٦٦/١٠، والضوء المنير على التفسير لابن القيم ١٠١/٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تنظر بعين قلبك، فتعلم أن الله يصلي له من في السماوات والأرض، من ملك وإنس وجن ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ﴾ في الهواء أيضا تسبح له ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ﴾ والتسبيح عندك صلاة، فيقال: قيل: إن الصلاة لبني آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق، ولذلك فصل ما بين ذلك.

وقال سفيان:للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود.

وقيل: إن ضربها بأجنحتها صلاة، وإن أصواتها تسبيح.

وقال ابن القيم: (فهذه صلاة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وإن جحدها الجاهلون المكذبون) (٩٨).

والمشار إليه: بقوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ قولان:

الأول: أنه الله تعالى، والمعنى: قد علم الله صلاة المصلي وتسبيحه ، قاله الزجاج.

الثاني: أنه المصلي والمسبح. ثم فيه قولان:

الأول: قد علم المصلي والمسبح صلاة نفسه وتسبيحه، أي: قد عرف ما كلف من ذلك. الثاني: قد علم المصلي صلاة الله وتسبيحه، أي: علم أن ذلك لله تعالى وحده (٩٩).

٣-سورة الأنبياء آية ٧٩:

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء:٧٩]

(٩٨) الضوء المنير على التفسير لابن القيم ٣٧٣/٤.

(٩٩) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٨/٤، وجامع البيان ١٥٢/١٨/١٠، ومعالم التنزيل ٥٣/٦، وزاد المسير ٥١/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا مع داود الجبال والطير، يسبحن معه إذا سبح.

وقال قتادة: أي: يصلين مع داود إذا صلى.

وقال ابن عباس: كان يفهم تسبيح الحجر والشجر.

وقال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير.

وقيل: كان داود إذا فتر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه.

و(مع) ظرف متعلق بفعل (يسبحن) وقدم على متعلقه للاهتمام به لإظهار كرامة داود، فيكون المعنى:أن داود كان إذا سبح بين الجبال سمع الجبال تسبح مثل تسبيحه،وهذا معنى التأويب في قوله في الآية الأخرى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ:١٠] إذ التأويب: الترجيع. وكذلك الطير إذا سمعت تسبيحه تغرد تغريدا مثل تسبيحه وتلك كلها معجزة له [(١٠٠)].

٤-سورة سبأ آية ١٠:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ:١٠]

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ أخبر الله تعالى أنه أعطى نبيه داود عليه السلام فضلا، وهذا الفضل قيل: هو النبوة، والكتاب، والملك، والصوت الحسن، وتسخير الجبال والطير يسبحن معه، وغير ذلك مما امتن الله به عليه، ولعظم هذا الفضل جاء منكرا (فضلا)، ثم أبان مقدار شرفه بقوله: (منا) فأضافه إلى نفسه سبحانه؛ لأنه هو المنعم به وحده.

---

(١٠٠) ينظر جامع البيان ٥٤/١٧/١٠، ومعالم التنزيل ٣٣٤/٥، وزاد المسير ٣٧٣/٥، والتحرير والتنوير ١١٩/١٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

فقوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ هذا نداء من الله تعالى للجبال وأمر لها بالتأويب مع داود عليه السلام وهو: الترجيع.

قال أكثر المفسرين: أن معنى ذلك: سبحي ورجعي التسبيح؛ لأنه متعلق بالظرف: (معه) والضمير فيه عائد إلى داود عليه السلام،

فمعنى ذلك: سبحي معه ، ورجعي معه التسبيح [١٠١].

٥-سورة ص آيتي ١٨، ١٩:

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ١٨، ١٩]

في هاتين الآيتين أسند التسبيح إلى الجبال والطير، وقد قيد تسبيح الجبال بوقتي ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ أي: أول النهار وآخره، وأخبر عن الطير بأنها محشورة له أي: مجموعة من كل ناحية،

وقيل: محبوسة في الهواء، فكان داود إذا سبح الله تعالى جاوبته الجبال والطير، فسبحت لله معه، ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾

وفي ذلك قولان للمفسرين:

الأول: أن المعني بالكل: كل الطير، و (له) لداود عليه السلام، و (أواب) بمعنى: مطيع رجاع إلى طاعته وأمره بالتسبيح معه.

---

(١٠١) ينظر معني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٤/٤، وجامع البيان ٣٤٩/١٠، وزاد المسير ٤٣٥/٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٣٤/٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الثاني: أن المعني بالكل: كل واحد من الجبال والطير، واللام في: (له) تعليلية، والضمير لداود عليه السلام، و (أواب) بمعنى: مسبح، أي: كل من الجبال والطير لأجل داود تسبح، فكلما سبح سبحت معه الجبال والطير[١٠٢] .

(١٠٢) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢٤/٤، وجامع البيان ٥٦٢/١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣/٤، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢، وتفسير النسفي ٥٦/٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث:

١- كثرة الآيات الواردة في موضوع التسبيح ، دلالة على أهمية تنزيه المخلوقات لله سبحانه .

٢- شمولية التسبيح لجميع المخلوقات: من ملائكة، وإنس، وجن،وحيوان ناطق وغير ناطق، وجماد نام وغير نامي ، أي أن الكون كله يسبح الله تعالى ما عدا الكافر الجاحد لنعم الله عليه .

٣- أن ما خص به نبينا صلى الله عليه وسلم من تلك الآيات أكثر مما خص به جميع الأنبياء من قبله حتى من ذوي العزم ، فلعل ذلك لكرامته صلى الله عليه وسلم على الله تعالى.

٤- شمولية التسبيح لجميع الأمكنة: من السماوات والأرض، والدنيا والآخرة.

٥- شمولية التسبيح لجميع الأوقات: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

٦- ورود التسبيح بجميع الصيغ: الأمر، والمضارع، والماضي، والمصدر.

٧- ستعمال لفظ التسبيح مفردا ومقرونا بغيره من صفات الرب جل وعلا.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

تسبيح المخلوقات في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

Praising the creatures in light of the Holy Quran

Objective study
Prepared by: Prof. Ali bin Omar Al-Suhibani Professor of Holy Quran Sciences and a faculty member of Sharia and Islamic Studies at Qassim University.

Objective study
Prepared by: Prof. Ali bin Omar Al-Suhibani Professor of Holy Quran Sciences and a faculty member of Sharia and Islamic Studies at Qassim University.

Research Summary:
This research consists of the Introduction and then The definition of praise Linguistically and terminology, and Seven objectives.
The first objective:
Regarding our Prophet Muhammad peace be upon him, and in Thirteen verses.
The second objective:
Regarding the rest of the prophets and in Seven verses.
The third objective:
Regarding the angels, and there are two topics: The first: Regarding the general angels, and in Eight verses, the second topics: regarding the throne campaign in only two verses.
The fourth objective:
As for the people of Paradise and in One verse.
The fifth objective:
Regarding the Muslims in seven verses.
The sixth objective:
Regarding the general creation and in Seven verses.
The seventh objective:
Regarding the animals and the inanimate in Five verses.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

فهرس المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم.

٢-آيات الذكر والتسبيح في القرآن الكريم – دراسة تركيبية دلالية، رابعة بن أحمد صالح، غير منشور.

٣-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، للقاضي أبي السعود العمادي، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٥-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض سنة ١٤٠٣هـ.

٦-بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق وتعليق: الشيخ: على محمد معوض والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود والدكتور: زكريا عبد المجيد الموتي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ،دار الكتب العلمية بيروت.

٧-البحر المحيط لأبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨- بدائع الفوائد: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد صبحي حلاق، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٩-البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق د/ أحمد أبو ملحم، وآخرين، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ، نشر دار الريان للتراث، القاهرة.

١٠-البسيط للإمام الواحدي: علي بن أحمد، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

١١-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين: محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع.

١٢-التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، نسخة مصورة عن الدار التونسية للنشر.

١٣-التسبيح في الكتاب والسنة والرد على المخالفين، د/محمد بن إسحاق كندو، الطبعة الأولى ، نشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض.

١٤-التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، أشرف عليه: لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ.

١٥-تفسير القرآن العظيم: للإمام ابن أبي حاتم الرازي، جمع تحقيق: أسعد محمد الطيب،الطبعة الأولى ١٤١٧هـ،مكتبة الباز مكة.

١٦-تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة: محمد عبد الرحيم، دار الحديث القاهرة.

١٧-تفسير القرآن العظيم لابن كثير،تحقيق: د/ حكمت ياسين ،دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

١٨-تفسير القرآن العظيم، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٩-التفسير الكبير للرازي: محمد بن عمر القرشي الملقب بـ فخر الدين الرازي، مكتبة المعارف.

٢٠-تفسير كتاب الله العزيز، للهواري: هود بن محكم، حققه وعلق عليه: بالحاج
ابن سعيد شريفي، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢١-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي،تحقيق د/ عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٢-تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني: أجمد بن علي بن حجر، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند.

٢٣-تهذيب اللغة للأزهري: محمد بن محمد الأزهري، تحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ.

٢٤-جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: محمد بن جرير الطبري، نشر دار الفكر ١٤٠٥هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٢٥-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

٢٦-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د: أحمد محمد الخراط، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ دار القلم دمشق.

٢٧-الدر المنثور في التفسير الماثور، لـ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، دار الفكر.

٢٨-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين: السيد محمود الألوسي البغدادي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٩-زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي،المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ.

٣٠-سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار الدعوة تركيا.

٣١-سنن ابن ماجة، لأبي عبد الله: محمد بن يزيد القزويني، دار الدعوة تركيا.

٣٢-سنن الدارمي، لأبي محمد: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار الدعوة تركيا.

٣٣-سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي

٣٤-شرح السنة للإمام البغوي، محمد بن حسين بن مسعود الفراء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش.

٣٥-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتنزيل، لابن القيم الجوزية، تخريج وتعليق:مصطفى أبو النصر شلبي، الطبعة الثانية ١٣١٥هـ مكتبة السوادي جدة.

٣٦-صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، دار الدعوة تركيا.

٣٧-صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الدعوة تركيا.

٣٨-صحيح ابن خزيمة ، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له:د/محمد مصطفى الأعظمي، ١٣٩٠هـ، المكتب الإسلامي

٣٩-ضعيف سنن أبي داود للألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، المكتب الإسلامي بيروت.

٤٠-ضعيف سنن ابن ماجة للألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي بيروت.

٤١-الضوء المنير على التفسير، لابن القيم، جمع: علي الحمد الصالحي،مؤسسة النور للطباعة والتجليد.

٤٢-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،محمد بن علي الشوكاني،دار المعرفة بيروت.

٤٣-قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أبي محمد أشرف عبد المقصود، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.مكتبة أضواء السلف.

٤٤- كتاب الدعاء للإمام أبي القاسم الطبراني، تحقيق د/ محمد سعيد البخاري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ دار البشائر الإسلامية بيروت.

٤٥-كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان.

٤٦-لسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٤٧-مجاز القرآن لأبي عبيدة، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٤٨-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية عام ١٤٢٥هـ.

٤٩-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد: عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس ١٣٩٥هـ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

٥٠-المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله: الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي بيروت.

٥١-مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة تركيا.

٥٢-مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، المكتب الإسلامي بيروت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٠٥٥ -١١٢٥ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٥٣-معالم التنزيل، لأبي محمد: الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ١٤٠٩هـ،دار طيبة للنشر والتوزيع.

٥٤-معاني القرآن وإعرابه للزجاج: إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق د/عبده شلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ عالم الكتب بيروت لبنان.

٥٥-معاني القرآن للفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد، عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٥٦-معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٥٧-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٥٨-المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان.

٥٩-من بلاغة القرآن في التعبير بالغدو والآصال والعشي والإبكار، د/ محمد محمد عبد العليم دسوقي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٦٠-النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لبنان.

٦١-الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، لابن القيم، حققه وعلق عليه: الشيخ: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٦٢-الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي: علي بن أحمد، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.